

الفصل الثالث

مریم البتول

تفردت مریم البتول بشمائل لم يدركها أحد غيرها، في نظر الدين الاسلامي . فلقد ذكرها القرآن باسمها وحدها من بين النساء . ولدت معصومة من أذى الشيطان الذي يظن كل مولود في جنبه، وقربت نذيرة لله حين لا ينذر الا الذكور ، ورزقت في المحراب من جنى الفردوس، وبشرها الملاك بأعجوبة الاعاجيب اذ تجسدت في أحشائها كلمة الله وروحه، عيسى ، وهي البتول التي لم تقترن بزوج ، وسلمت عليها الملائكة مرادة على الاجيال في الاسلام : «يا مریم ان الله اصطفاك على نساء العالمين»، وآواها ربها الى «ربوة ذات قرار ومعين»، قد تكون الجنة ، ويكون في ذلك انتقالها الى النعيم .

هذا من القرآن ، وأما الحديث فيقول عنها انها كانت سيدة نساء زمانها ، سودها الله على امانه جميعاً ، ولقد اصبحت في الجنة ايضاً سيدة نساء العالمين .

ومضى بعد ذلك علماء الاسلام يرددون اعجابهم ، فقالوا فيها أجل ما يقال في امرأة ، وعيّد لها الشعب الاسلامي احياناً وصام وصلى . فهي بين العالمين الاسلامي والمسيحي نقطة الالتقاء الكبير .

مختصر سيرة مريم وعيسى

ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل جبريل فتفخ فيها الروح فحملت بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على اميال من بيت المقدس. ولادته في يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة من كانون الاول . وكان من امره ما ذكره الله في كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلعم . وقد زعمت النصارى ان ايشوع ابي المسيح الناصري اقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الاردن في كنيسة يقال لها المدرس ثلاثين سنة ، وقيل تسعاً وعشرين سنة ، وانه في بعض الايام كان يقرأ في سفر اشعيا اذ نظر في السفر الى كتاب من نور فيه : انت بني وخالتي اصطفيتك لنفسى^(١) فاطبقت السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول : الآن تمت كلمة الله في ابن البشر^(٢) .

وقد قيل ان المسيح كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من اعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية. ورأيت في هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت سخين كالرب تتبرك به النصارى ، وان المسيح مر ببجيرة طبرية وعليها اناس من الصيادين وهم بنو زبدا واثنا عشر من النصارى فدعاهم الى الله وقال : اتبعوني تصيدون البشر ، فاتبعه ثلاثة من الصيادين وهم بنو زبدا واثنا عشر من القصارين . وقد ذكر متى ويوحنا ومارقس ولوقا وهم الحواريون الاربعة الذين تلقوا الانجيل^(٣) فآلفوا

(١) اشعيا ٤١: ١٠ - ٣ .

(٢) قابل بالانجيل : « ودخل كما دته المجمع يوم السبت فدفع اليه سفر اشعيا النبي فلما فتح السفر وجد الموضع المكتوب فيه : ان روح الرب علي ولذلك مسحني وارسني . . . ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم . . . فجعل يقول لهم : اليوم تمت هذه الكتابة . . . » لوقا ٤: ١٦ - ٢١ .

(٣) كان متى ويوحنا وهدما من الرسل او الحواريين ، اما ماركس فكان تلميذاً لبطرس الذي هو من الحواريين ، واما لوقا فكان تلميذاً لبولس . وقد كتب هؤلاء الاربعة النصوص الانجيلية بروحي من الله .

خبر يعيسى عليه السلام وما كان من امره وغبر مولده وكيف عثمه يحيى بن زكريا وهو يحيى المعداني في بحيرة طبرية ويحجى الى البحيرة المنتنة ، وما فعل من الاعاجيب واتى من المعجزات وما ناله من اليهود الى أن رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . وفي الانجيل خطب طويل في أمر المسيح ومريم ويوسف النجار أعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشي . ولا اخبر به نبيه محمد صلعم^(١) .

البشارة والميلاد في الصحراء

كانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها يليان خدمة الكنيسة فكانت مريم اذ نفذ ماؤها فيا ذكر وما . يوسف ، أخذ كل واحد منها قلته فانطلق الى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبانه فيلاً قلته ثم يرجعان الى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل وكان اطول يوم في السنة واشدها حرًا ، نفذ ماؤها فقالت : يا يوسف ألا تذهب بنا نستقي ، قال : ان عندي لفضلاً من ماء . اكنفي به يومي هذا الى غد . قالت : لكني والله ما عندي ماء . فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فتجد جبريل قد مثله الله لها بشراً سرياً . فقال لها : يا مريم ان الله بعثني لأهب لك غلاماً زكياً ، قالت : اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً ، وهي تحسبه رجلاً من بني آدم . فقال : انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت : أننى يكون لي غلام ولم يمسنى بشر ولم أكُ بغيًا . قال : كذلك قال ربك هو علي هين ولنجمله آية للناس ورحمة منا ، وكان امرأ مقضياً ؛ أي ان الله قد قضى ان ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله . فنفع في جيبها ثم انصرف عنها وملأت قلتها ...^(٢)

(١) المسودي ، مروج الذهب ، ١٢٢١-١٢٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٧٢٣-٧٢٤ لم تذكر الانجيل الموحاة بشارة المذراء مريم وهي تستقي الماء ، ولكن ذلك ما ذكرته الانجيل الموضوعة ، انجيل يعقوب الموضوع ، ١١ ؛ انجيل متى المزعوم ، ٩ ؛ وقد ردد الفن المسيحي صداه في القرون الوسطى ، حتى اصبح تقليداً شائعاً عرفه المؤرخون والرسامون في الاسلام .

لما ارسل الله عز وجل جبريل الى مريم تمثل لها بشراً سوياً ، فقالت : اني
 أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً ، ثم نفخ في جيبها حتى وصلت النفخة الى الرحم
 واشتلت على عيسى . قال : وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار
 وكنا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل الزيتون ، وكان ذلك المسجد يومئذ
 من اعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يجذمان في ذلك المسجد في ذلك
 الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم فرغبوا في ذلك . فكانا يلينان معالجته بانفسهما
 وتحميه وكناسته وطهوره وكل عمل يُعمل فيه . فكان لا يُعلم من أهل
 زمانها أحد اشد اجتهاداً وعبادة منها ، وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها
 يوسف . فلما رأى الذي بها استمطه وعظم عليه وفضح به ولم يدر على ما يضع
 امرها ، فاذا اراد أن يتهمها ذكر صلاحها وأنها لم تقب عنه ساعة قط ، واذا
 اراد يبرئها رأى الذي بها ، فلما اشد ذلك عليه كلفها فكان أول كلامه لها
 أن قال لها : إنه قد وقع من امرك شيء قد حرصت على أن أميته وانكسه
 فقلبي ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشقى لصدري . قالت فقل قولاً جميلاً .
 قال : ما كنت لاقول الا ذلك ، فحدثيني هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت :
 نعم . قال : فهل تنبت شجرة بغير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم . قال . فهل
 يكون ولد بغير ذكر ؟ قالت : نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه
 بغير بذر والبذر انما كان من الزرع ؟ ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطر
 وانه جعل بتلك القدرة النيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منها وحده ،
 أو تقول لن يقدر الله على أن ينبت حتى استعان عليه بالما . ولولا ذلك لم يقدر
 على انبائه . قال يوسف : لا أقول هكذا ولكني أقول ان الله يقدر على ما
 يشاء . انما يقول بذلك : كمن فيكون . قالت له : ألم تعلم أن الله خلق آدم
 وحواء من غير ذكر وانثى ؟ قال : بلى . فلما قالت له ذلك وقع في نفسه
 أن الذي بها شيء . من الله لا يسهه أن يسألها عنه لما رأى من كبرياتها لذلك .
 ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه وذلك لما
 رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها وترو . بطنها وضمف قوتها
 ودأب نظرها ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك^{١١} .

١١ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٢٤ - ٧٢٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل في

قال عكرمة : وكان جبriel عرضاً في صورة رجل شاب امرد مضني .
الوجه جعد الشعر سوي الخلق . قالت الحكماء : انما ارسله الله تعالى في صورة
البشر لثبث مریم عليها وتقدر على سماع كلامه فلما استأذنت منه مریم ، قال :
انما انا رسول ربك ... هو علي حين (الآيات) . فلما قال ذلك انزلت
لقضاء الله فنفتح في جيب درعها وكانت قد وضعت عنها . فلما انصرف عنها
لبست مریم درعها وحملت بعیسی عليه السلام ثم ملأت قلبها وانصرفت الى
المسجد .

وقال السدي وعكرمة : ان مریم عليها السلام كانت تكون في المسجد
ما دامت طاهرة ، فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت
الى المسجد . فبينما هي تغسل من الحيض وقد اتخذت مكاناً شرقياً اي مشرقاً
لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة .

قال الحسن : انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مریم انتبذت مكاناً
شرقياً^(۲) فاتخذت فضربت من دونهم حججاً أي سقراً . وقال مقاتل : جعلت
الجبل بينها وبين قومها فينا هي كذلك في تلك الحالة ، اذ عرض لها جبriel
وبشرها بعیسی وفتح في جيب درعها . قال وهب : فلما اشتمت على عیسی

التاريخ ١ : ٢١٨ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٣ ؛ الكافي ، قصص الأنبياء ، ٣٠٢ -
٣٠٣ ؛ قابل بالبلوي جزئياً ، كتاب الف باء ، ١ : ٤٠٦ ؛ حيث رسم تعبیر يوسف عن مریم
حالما قاله استناداً الى كلام القرآن : « ان الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عیسی بن مریم . »
هذا النص هو توسيع بماكي مبالغات انجيل الطفولة في نصه الادمي والرياني ، ٧ ، لا ورد
في الانجيل الحقيقي : « لا خطبت مریم . . . الى يوسف وجدت من قبل ان يجتمعا جبل
من الروح القدس . واذ كان يوسف رجلاً صديقاً ولم يرد ان يشهرها بم تخليتها سراً .
وفيا هو متفكر في ذلك اذا بلاك الرب تراوى له في الحلم قائلاً : يا يوسف ابن دارد لا
تخف ان تأخذ امرأتك مریم فان المولود منها انما هو من الروح القدس . » ١ : ١٨ - ٢٠
(٧) لا علاقة بين الامرین ، وانما اورده الحسن لان القرآن يقول ان مریم انتبذت مكاناً
شرقياً . والامح ان قبلة الكنائس عند النصارى هي جهة الشرق بسبب اورشليم حيث ولد
المسيح فتشاهد المجوس نجمة في المشرق ، ومن المشرق سيمود في آخر الزمان . والآباء
الريان واليونان يدعون المسيح نفسه « المشرق » .

كان معها ذو قرابة يقال له يوسف^{١١} .

فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فأنت اقضاء ففاجأها
المياض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استجياء من الناس : يا
ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، يعني نسي ذكرى واثري فلا يرى أثر
ولا عين . قالت مريم : كنت اذا خلوت حدثني عيسى وحدثته فاذا كان عندنا
انسان سمعت تسيحه في بطني . فتاداهما جبرئيل من تحتها أي من أسفل الجبل :
لا تخزني قد جعل ربك تحتك سرياً ، وهو البهر الصغير أجراه تحتها . فن قرأ
من تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرئيل ومن فتحها^{١٢} قال : انه عيسى انطقه
الله . وهزى اليك مجذع النخلة ، وكان جذعاً مقطوعاً فهزته فاذا هو نخلة وقيل
كان مقطوعاً . فلما أجهدها الطلق احتضته فاستقام واخضر وأرطب ، فقيس
لها : هزى اليك مجذع النخلة فهزته فتساقط الرطب ، فقال لها : كلي واشربي
وقري عيناً فاما ترى من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فان اكلم
اليوم نسياً . وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي . فلما ولدته
ذهب ابليس فأخبر بني اسرائيل أن مريم قد ولدت فاقبلوا يشهدون بدعوتها
فأنت به قومها تحمله .

وقيل إن يوسف النجار تركها في مقارة اربعين يوماً ثم جاء بها الى أهلها فلما
رأوها قالوا لها : يا مريم لقد جئت شيئاً فريباً ، يا اخت هرون ما كان ابوك
امراً سو . وما كانت امك بغيماً فابالك انت . وكانت من نسل هرون اخي
موسى . كذا قال . قلت انها ليست من نسل هرون ، انما هي من سبط
يهوذا بن يعقوب من نسل سليمان بن داود وانما كانوا يدعون بالصالحين وهرون
من ولد لاوي بن يعقوب^{١٣} . قالت لهم ما أمرها الله به . فلما ارادوها بعد

(٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨١-٣٨٢ .

(٩) اي فتح الميم في كلمة : « من » يعني « الذي هو تحتها » .

(١٠) اخا واحدة من المحاولات التي قام بها المفسرون لاياد التناقض عن القرآن الذي

يذكر مريم بابنة مران واخت هرون . وهرون اخو موسى وبين موسى ومريم ام المسيح

نحو الف وخمسة مئة . وكان لموسى وهرون اخت اسمها مريم ذكر اسمها الكتاب المقدس

سفر المروج ، ١٥ : ٢٠ ؛ وسنهم من يقول ان هرون هذا كان معاصراً لمريم : « قال

ذلك على الكلام اشارت اليه ففضبوا وقالوا : لسخريتها بنا اشد علينا من زناها . قالوا : كيف نكلم من كان في الهد صبياً . فتكلم عيسى فقال : اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً اينما كنت وارصاني بالحلاة والزكوة ما دمت حياً . فكان اول ما تكلم به العبودية ليكون ابلغ في الحججة على من يعتقد انه انه . وكان قومها قد اخذوا حجارة ليرجموها فلما تكلم ابنها تركوها . ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بتزلة غيره من الصبيان^{١١} .

(عن نوف البكالي) : كانت مريم عليها السلام فتاة بتولاً وكان زكريا زوج اختها كفلها . فكانت معه قال : فكان يدخل عليها يلتم عليها . قال : فتقرب اليه فاكة الشتاء في الصيف ، وفاكة الصيف في الشتاء . قال : فدخل عليها زكريا عليه السلام مرة فقربت اليه بعض ما كتلت تقرب . قال : يا مريم اني لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه . قال : رب اهب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . قال : فينما هي جالسة في متزا اذا رجل قائم بين يديها قد هتك الحجب فلما واته قالت : اني اعوذ بالرحمن ان كنت تقياً . . . وكان امراً مقضياً . (الآيات) فنفع جبريل عليه السلام في جيبها فحملت حتى اذا اتقلت وجعت كما توجع النساء .

فلما وجعت كانت في بيت النبوة فاستحيت فهربت حياء من قومها نحو المشرق . وخرج قومها في طلبها يسألون عنها فلا يجبرهم عنها أحد . فأخذها المخاض الى النخلة وقالت : يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . . . فنادها من تحتها قال : جبريل عليه السلام ، من اقصى الروادي ، ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ، قال : جدولاً . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك

فتادة : كان هرون رجلاً صالحاً من انبياء بني اسرائيل وليس جرون اخي موسى وذكروا انه نبع جنازته يوم مات ابرون الفأ من بني اسرائيل وكلمهم يسى هرون . وقال ومب : كان هرون من افسى بني اسرائيل واطهرهم فساداً فسبوا بها به ه ، الشطي ، عرائض المجالس ، ٣٨٦ .

رطباً جنياً فكلي وابشري وقرزي عينا فاما ترى من البشر أحداً قولي اني نذرت
للرحمن صوماً ، فلن اكلم اليرم انسياً .

فلما قال لها جبرائيل اشتد ظهرها وطابت نفسها ، قطعت سرره ولفته في
خرقة رحلته . قال : فلقني قومها راعي بقر وهم في طلبها . قالوا : يا راعي
هل رأيت فتاة كذا وكذا ؟ قال : لا ، ولكن رأيت البارحة في بقري شيئاً
لم أوه منها قط فيما خلا . قالوا : وما رأيت منها ؟ قال : رأيتها باتت سجداً
نحو هذا الوادي . فانطلقوا حيث وصف لهم : فلما رأتهم مريم عليها السلام ،
جلست ترضع عيسى عليه السلام فجاءوا حتى قاموا عليها وقالوا لها : يا مريم لقد
جئت شيئاً فريباً . قال : امرأ عظيماً . يا اخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء
وما كانت امك بغياً . قال ابو عمران : قال نوف : فأشارت اليه بأن كلموه ،
فمجبوا منها .. قالوا : كيف نكلم من كان في الهد صياً . قال نوف : الهد
حجرها . فلما قالوا ذلك ترك عيسى عليه السلام تديها واتكأ على يساره ثم
تكلم . قال : اني عبد الله (الآيات)^(١٢) . قال : فاختلف الناس فيه^(١٣) .

فلما دنا نفاسها ارحى الله اليها ، ان اخرجني من ارض قومك فانهم ان
ظفروا بك عيرؤك وقتلوا ولدك . فأفضت عند ذلك الى اختها ، واختها حينئذ
حبلي وقد بشرت بيحيى فلما التقيا^(١٤) وجدت ام يحيى ما في بطنها خر لوجهه
ساجداً معترفاً بعيسى^(١٥) .

فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له ليس بينها ، حين ركبت الحمار ،
وبين الاكاف شيء . فانطلق يوسف بها ، حتى اذا كان متاخماً لارض مصر في
منقطع بلاد قومها ، ادرك مريم النفاس والجاها الى آري حمار ، يعني مذود الحمار ،

(١٢) سورة مريم ١٩ : ٢٧-٢٣ .

(١٣) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥١-٥٢ .

(١٤) هكذا في الاصل .

(١٥) وفي الانجيل : « فندما سمعت الیصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها
واستلأت من الروح القدس ، فصاحت بصوت عظيم وقالت : . . . فانه عندما بلغ صوت
سلامك الى اذني ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني . » لوقا ، ١ : ٤١-٤٤ .

في اصل نخلة وذلك في زمان الشتاء . فاشتد على مريم المخاض فلما وجدت منه شدة التجأت الى النخلة فاحتضتها واحترستها الملائكة قاموا صفوفاً محدقين بها . فلما وضت وهي محزونة ، قيل لها : ألا تحزني (الآيات ، حتى انيا)^(١٦) فكان الرطب ينساقط عليها وذلك في الشتاء .

فأصبحت الاصنام التي كانت تُعبَد من دون الله حين ولدت بكل ارض مقلوبة منكوسة على رؤوسها . ففرغت الشياطين وراعها ، فلم يدروا ما السبب ، فساروا عند ذلك مسرعين حتى جاوا ابليس وهو على عرش له في لجة خضراء . يتمثل بالعرش يوم كان على الماء . ويتعجب يتمثل بالحجب التي دون الرحمن فاتوه وقد خلاست ساعات من النهار فلما رأى ابليس جماعتهم فرع من ذلك ولم يرم جميعاً منذ فرقتهم قبل تلك الساعة ، انما كان يراهم أشتاتاً فسأهم فاخبروه انه قد حدث في الارض حدث ، أصبحت الاصنام منكوسة على رؤوسها ولم يمكن شي . اغون على هلاك بني آدم منها صكنا ندخل في لجرافها فنكلمهم وندبر أمرهم فيظنون انها هي التي تكلمهم فلما أحياها هذا الحدث صرهم^(١٧) في عين بني آدم ، وأذلها وأدناها ذلك ، وقد خشينا الا يعيدوها بعد ذلك أبداً وأعلم اننا لم نأتك حتى احصيت الارض وقلبتا البحار وكل شي . قويتا عليه فلم تردد بما اردنا الا جهلاً . قال لهم ابليس : ان هذا الامر عظيم ، لقد علمت باني كُنتُ ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار ابليس عند ذلك فلبث عنهم ثلاث ساعات فرّفين بالمكان الذي ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه . فأراد ابليس ان يأتيه من فوقه فاذا فرقه رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم اراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا اقدام الملائكة راسية اسفل بما اراد ابليس . ثم اراد ان يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك ، ثم رجع ابليس الى اصحابه فقال لهم : ما جتكم حتى احصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها ومجرها ، والحاققين والجو الاعلى وكل هذا بلغت في ثلاث ساعات ، وأخبرهم بولد المسيح وقال لهم : لقد كُمتُ شأنه وما اشتمت قبله رحم انثى على ولد الابليسي ، ولا وضته قط

(١٦) سورة مريم ١٩ : ٢٤-٢٦ .

(١٧) مكذا في النص .

الا وأنا حاضرها ، واني لارجو ان أضل به أكثر مما يهتدي به وما كان من نبي قبله أشد علي وعليكم منه^{١٨١} .

قال الكلبي : لما كان يوسف يبعض الطريق اراد قتلها فأناه جهريل عليه السلام فقال له : انه من روح القدس فلا تقتلها . واختلف العلماء في مدة حملها ، تسعة أشهر أو ثمانية لانه لم يمض مولود لثمانية أشهر غير عيسى ، أو ستة ، أو ثلاث ساعات ، أو ساعة .

وقال ابن عباس : ما هو إلا ان حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع الا ساعة واحدة لان الله لم يذكر بينهما فصلاً ...

وقال مقاتل : حملته أمه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة . وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى ...

قال الربيع بن الحثيم : ما للنفسا عندي خير من الرطب ولا للريض خير من السل . وقال عمرو بن ميمون : ما ادري للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيراً من الرطب وقرأ هذه الآية^{١٨٢} . قات عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلعم يوضع التمر ويحسك به اولاد الصحابة حين يولدون . وقال بعض البلنا . في وصف التمر : علة الصغير ونهلة الكبير . ثم أن يوسف التجار عمد الى حطب فجعله كالحليرة حواليا بالقرب منها اذ قد أضر بها البرد . ثم أشعل لها ناراً لتصطي بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فأطعمها اياها ،

١٨ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٣: ٧٢٧-٧٢٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣: ٢٢١-٢٢٢ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٤-٣٨٥ ؛ التزالي ، احياء علوم الدين ، ٣: ٢٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٣٢ ؛ الزبيدي ، تحف السادة المتقين ، ٧: ٢٧٨ ؛ لا شك في ان هذه النسخة هي مقبلة مع بعض النسخ عن الاناجيل الموضوعة ؛ حيث تجد ان الاصنام تحطم لدى دخول المسيح سابدا في مصر ؛ هكذا في انجيل متى المزعوم ، ٢٣ . وفي انجيل طفولية سيدنا ، كما ورد في نصه الارمني ، ١٥: ٦-١٦ . وتجد حواراً بين ابليس والسايطان يشبه ما اورده الطبري ، هكذا في انجيل نيقوديموس الموضوع ، راجع فابرينيوس : الاناجيل الموضوعة ١: ٢٧٩ الخ ...

١٩) وهزي يجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنباً ، فكلي واشربي ...

فن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلمب بالجوز^(٢٠) .
 فاحتمل يوسف ومریم وابنها على حمار له حتى ورد ارض مصر، وهي الربوة
 التي قال الله تعالى : وأويناها الى ربوة ذات قرار ومعين .
 ذكر أبو اسحق الثعلبي في التفسير : ذات قرار ومعين . قال سيد الله ابن
 سلام : هي دمشق . وقال أبو هريره : هي الرملة^(٢١) . وقال قتادة وكعب :
 هي بيت المقدس . وقال كعب : هي أقرب الارض الى السماء ، وقال ابو
 زيد : هي مصر . وقال الضحاك : هي عرصة دمشقي . وقال ابو العالية : هي
 ايلياء . وقال القرآز : الارض المستوية ، والمعين : الماء الطاهر .
 فأقامت مریم بصر اثنتي عشرة سنة تنزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر
 الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها ، والرغاء الذي فيه السنبل
 في منكبها الآخر حتى تم لعتى اثنتا عشرة سنة^(٢٢) .

المجوس

وذكر بعض اهل الاخبار ان مولد عيسى عليه السلام كان لضي اثنتين
 واربعين سنة من ملك اغسطوس وان اغسطوس عاش بعد ذلك بقية ملكه
 وكان جميع ملكه ستاً وخمسين سنة ، قال بعضهم : واياً ، قال ويؤيئت اليهود
 بالمسيح والرئاسة بينت المقدس في ذلك الوقت لقيصر والملك على بيت المقدس
 من قبل قيصر هيودوس الكبير الذي دخلت عليه رسل فارس غلطا واخبروه
 ان ملك فارس بعث بهم ليقربوا الى المسيح الطافاً معهم من ذهب ومر ولبان ،

(٢٠) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٢٨٢-٢٨٤ .

(٢١) ان التقليد المسيحي يزعم ان العائلة المقدسة ، مریم وابنها ويوسف ، قد اتخذت ،
 حين هربت الى مصر ، مقبراً في مطرية ، وهي مكان يبعد نحو عشر كيلو مترات عن
 القاهرة ، نحو هليوبوليس القديمة ؛ ومن هناك تزلوا الى ما بين الآن مصر الشيفة ، وهناك
 كنيسة اليوم اسمها ابو مرجة يحتفظ الاقباط فيها جده الذكرى ، راجع « انجيل طفولية
 سيدنا » ، ٢٤-٢٥ و ١.١ ، A. J. Butler, *The Ancient Coptic Churches in Egypt*.

(1884). Oxford, ص ١٨١-٢٠٥ .

(٢٢) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٦ .

وانهم نظروا الى نجمه قد طلع فعرفوا ذلك بالحساب وقربوا الاطراف اليه بيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيرودوس خبرهم كاذ المسيح فطلبه ليقتله فأمر الله الملك ان يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة ما اراد هيرودوس من قتله ، وأمره ان يهرب بالاعلام وامه الى مصر^(٢٣) .

وخرج في تلك الليلة قوم يؤمنونه^(٢٤) من أجل نجم طلع أنكروه وكانوا قبل ذلك يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال^(٢٥) فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فزوا بملك من ملوك الشام فسألهم اين يريدون فأخبروه بذلك قال : فما بال الذهب والمر واللبان اهديتموه له من بين الاشياء كلها ؟ قالوا : تلك امثاله لان الذهب هو سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي هو سيد اهل زمانه ولان المر يُجَبَّرُ به الجرح والكسر وكذلك هذا النبي يشفي به الله كل سقيم ومريض ولان اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره^(٢٦) . فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال : اذهبوا فاذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك فاني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره . فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية الى مريم وارادوا ان يرجعوا الى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى فلقبهم ملك فقال لهم : لا ترجعوا اليه

(٢٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٧٤٠ : ٣ : ١ .

(٢٤) اي يؤمنون عيسى .

(٢٥) قد يكون في هذا اشارة الى نبوة دانيال عن ابن البشر ، بالفصل السابع ؛ او الى قصة الفتية في اثون النار كما سجد ذلك في ادناه ، دانيال ، ٣ : ٥٠ ؛ وعلى كل حال فان الانجيل الموضوعة في اصحاب النسطوري ، وبين الناصرة وبلاد فارس علاقات تاريخية وجغرافية ، نذكر ان زرداشت مؤسس الدين المجوسي نبأ عن مولد طفل من عذراء . وان عزيمته نجم يطلع في السماء يكون اشد لمائتا من الشمس ، وهذا النجم يكون هادياً للنجوس الى المدينة المقدسة ، وقال التروبيرليت يشوع بن نون ان زرداشت هذا لم يكن الا بلعام المنجم ؛ انظر النص العربي « لانجيل طفولية سيدنا » وقد نقله اسحق ابن ابي الفرج ابن القيس المنطبي في ماردن ، بخطوطه المكتبة اللورنية في فلورنسا ، تحت جزء Codex orientalis عدد ٢٢ ، صفحة ٢ .

(٢٦) اعتاد آباء الكنيسة ان يقدموا شرحاً آخر ، فالذهب في اعتقادهم هو رمز ملك المسيح ، والمر رمز آلامه ، واللبان اي البخور رمز الوهيته .

ولا تعلموه بمكانه فانه انما اراد بذلك ليقته فانصرفوا في طريق آخر واحتلته
مرج على ذلك الحمار ومعه يوسف حتى وردا ارض مصر فهي الربوة التي قال
الله : وأوتيناها الى ربوة ذات قرار ومعين^(٢٧) .

كان كورش الملك حين ولد المسيح بعث بثلاث انفس ودفن الى أحدهم
صرة من لبنان والى الآخر صرة من مرّ والى الثالث صرة من تبر وسيرهم
يبتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى المسيح وانه بأرض الشام .

والنصارى تعلقو في قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود في الأنجيل وان
هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بولد المسيح فكانوا اذا ساروا سار
معهم ذلك النجم واذا وقفوا وقف بوقوفهم . وقد آتينا في كتابنا « اخبار

٢٧ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٢٨-٧٢٩ ؛ انظر اليعقوبي الذي يورد
نصوص الإنجيل على خنيتها اجمالاً في تاريخه ، ١ : ٧٥-٧٦ ؛ الطبري ، عرائس المجالس ، ٣٨٥ .
وفي الإنجيل : « ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في ايام هرودس الملك اذا بجوس
اقبلوا من المشرق الى اورشليم قائلين : ابن المولود ملك اليهود فأنا رأينا نجمة في المشرق
فوافينا لتسجد له . فلما سمع هرودس الملك اضطرب هو وكل اورشليم معه وجمع كل رؤساء
الكهنة وكتبه الشعب واستخبرهم ابن يولد المسيح ، فقالوا له في بيت لحم اليهودية لانه هكذا
كُتب بالنبي : وانتريا بيت لحم ارض يهوذا لست الصغيرة في رؤساء يهوذا لانه منك يخرج
المدير الذي يرعى بشي اسرائيل (نبوة ميخا ، ١ : ٥) . حينئذ دعا هرودس المجوس
سراً وتمقق منهم زمان النجم الذي ظهر . ثم ارسلهم الى بيت لحم قائلًا : اذهبوا وابحثوا
عن الصبي متحققين واذ وجدتموه فاخبروني لكي اذهب انا أيضاً واسجد له فلا سمعوا
هذا من الملك ذهبوا فاذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق
الموضع الذي كان فيه الصبي . فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً وانوا الى البيت
فوجدوا الصبي مع مريم امه فخروا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب
ولبان ومرّ . ثم ارحى اليهم في الحلم ان لا يرجعوا الى هرودس فرجعوا في طريق آخر
الى بلادهم . فلما انصرفوا اذا بملك الرب تراهي ليوسف في الحلم قائلًا : قم فخذ الصبي
وامه واهرب الى مصر وكُن هناك حتى اقول لك فان هرودس مزع ان يطلب الصبي
ليهلكه . فقام واخذ الصبي وامه ليلاً وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هرودس ليم
القول من الرب بالنبي القائل (نبوة هوشع ، ١١ : ١) : « من مصر دعوت ابني » متى^(٢٨)

الزمان^٤ على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التي دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجملهم الخبر تحت الصخرة وغوصها في الارض وذلك بفارس وكيف حفر عليها الى الماء. وانها وجدت وقد صارت شلتي نار على وجه الارض تقدان وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر^(٤٨).

خصائص مريم

ان الله تعالى دبر للعباد امورا مرن النفوس سلوك طريق ذلك التدبير وعرفوه ووطنوه^٥، ثم له تعالى في ذلك التدبير تدبير آخر مختص. فأهل الضيق يتحبرون ويضيقون ومن عاب الصنفين والتدبيرين لم يضق. وان الله عز وجل في كل تدبير مشيئة ان شاء امضاه وان شاء أخره. فالتدبير الذي قد وطنه الناس ان يكون بالولد من ذكر وانثى. فاخص الله تعالى ليسى بن مريم تدبيراً فحلت به مريم من غير ذكر فتحير فيه علماء ذلك الزمان واحبارهم وهلك فيه العام والسفهاء، وأدرك مريم رضى الله عنها بعض تلك الحيرة فقالت: اننى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر ولم اكُ بغيأ؟ قال: كذلك يخلق ما يشاء. فأبصرت واذعنت لحكم ربها تعالى وتقدس فاستوجبت بذلك أن انثى عليها رب العالمين فقال: وصدقت بكلمات ربها وقال: وانه حديقة. وكذلك فعل زكريا عليه السلام فيما بشر به من الولد بعد الكبر^٦ وكذلك رزق مريم رضى الله عنها لي كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال: يا مريم انى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب.

(٤٨) المسودي، مروج الذهب، ٤: ٧٩ - ٨٠؛ اما قصة الرغفان او الارغفة فقد حررها المسودي، وهي في الاصل اسطورة القاط الذي اخذته مريم من اقطعة الطفل واعطته للمجوس. وعندما رجع هؤلاء الى بلادهم عيّد لهم اهلوم فاشتعلوا النار التي كانوا يبيدونها والقوا فيها القاط فاشتعل ولم يمترق، ولا نخدمت النار استرجعوا القاط فاذا هو ابيض كاللحج واثبت من ذي قبل فلهوه ووضعوه على اعينهم فثابتن: حقاً انه لباس رب الارباب اذ ان نار الافة لم تقدر على احراقه؛ راجع الاناجيل الموضوعة في نصها العربي^٤ «انجيل طفولية سيدنا» ٧-٨؛ والرياني^٥ ٣ (طبعة Sike)؛ قابل بالكاتب الرياني النسطوري سليمان البصري، في طبعة بودج (Budge): The Book of the Bee، ٢٧-٣٠.

فقد علم الناس ارزاقهم من مظانها من السوق ومن الكدس ومن الكرم ومن الكيس ومن ايدي الخلق ، فرزقت على وجه التدبير المختص مما لم يمه ايدي العالمين^(٢٩) .

ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها . فنفتحنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه فالصديق بالكلمة اعظم الاشياء . لانها لم تعان الملائكة وانما سمعت صوت البشري : ان الله يشرك بكلمة منه فصدقت ولم تردد^(٣٠) فسماها الله صديقة في تزييله فقال : وامه صديقة . فبالاتصال بلغ العباد أعلى منازل الصديقين . فلا ينالهم في امر الله حيرة . ألا ترى ان ساره لما بشرت باسحاق كيف اضطربت حتى أنكرت الملائكة من قولها : ان هذا الشيء عجيب . فقالوا : أتعجبين من أمر الله ؟ فتبين ههنا منها نقص وتبين الكمال من مريم حين بشرت بالكلمة من قوله : ان الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلمه الناس في المهدي وكهلاً ومن الصالحين . فعندها قالت : أأنى يكون لي ولد ولم يمسني بشر . فانما سألت من أين هذا الولد لانه قد جاءها من أمر الله ما ليس في البشر مثله والذي جاء من أمر ساره ليس يستنكر قد يكون مثله في البشر ألا ترى أنه لما جاء الولد من ابراهيم وساره لم يفتن الخلق به وبجبي . عيسى عليه السلام فتنة^(٣١) .

فقرله تعالى لمريم : اقنتي لربك اي أطيعي ربك فهذا تفسير ظاهر ، ولكن أريد من مريم القنوت في الباطن وهو أن تقبل بقلبها على الله مظلاً على النفس مشتتلاً على شهواتها لتلا تحرك وتنفرد غلباناً وتحيش حتى يغور دخانها الى الصدر الى محل اشراق نور الالوهية ، فانه ليس من حق عطايا ربنا أن يعطي عبداً اشراق نور عظته في صدره فيسبل العبد حراسته ورعايته حتى تغور حرارة شهواته كغور ان القدر التي تنمي الى صدره كاللدخان بين يدي نثر العظمة في صدره . . . فأمرت مريم بالقنوت اي بالدوام وبالركود بمقابلة القلب قبالة عظمة الله

(٢٩) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٩٤-٩٥ .

(٣٠) وفي الخامس : « لله لم تردد » .

(٣١) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٥٧ .

حتى يدوم لها التعظيم لجلال الله^(٣٢) .

وللرجال عليهن^(٣٣) درجة لان حواء صدرت عن آدم فلم تزل الدرجة تصحبه عليها في الذكورة على الانثوة وان كانت الام سبباً في وجود الابن فابنهما يزيد عليها بدرجة الذكورة... ولما كان الولد لا يدعي الا لايه لا ينسب الى امه لان الاب له الدرجة وله العلو فينسب الى الاشرف ، ولما لم يتمكن لعيسى عليه السلام ان ينسب الى من وهبه لها بشراً سوياً أعطيت امه الكمال وهو المقام الاشرف فنسب عيسى اليها فقيل عيسى بن مريم فكان لها هذا الشرف بالكمال مقام الدرجة التي بها شرف الرجال على النساء ، فنسب الابن الى ابيه لاجلها^(٣٤) . وكال مريم شهد لها بذلك رسول الله صلعم^(٣٥) .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلعم : حبيك من نساء العالمين اربع : مريم بنت عمران واسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلعم^(٣٦) .

وأخبرنا شيب بن محمد بإسناده عن قتادة قال : كل ادمي يطعمه الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وامه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابتهما الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شيء . قال : وذكروا لنا انها كنا لا يصيان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم^(٣٧) .

وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء . وأمثالهن في وقتها^(٣٨) .
(عن أبي هريرة) : ما من مولود يولد الا تحمسه الشيطان فيستهل صارخاً من تحمسه الشيطان الا ابن مريم وامه . ثم قال أبو هريرة : اقرأوا ان شئتم

(٣٢) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٤١٥ - ٤١٥ .

(٣٣) اي على النساء .

(٣٤) اي لاجل الدرجة .

(٣٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ١٢ - ١٣ .

(٣٦) الشامي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٣٤٤ .

(٣٧) الشامي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ .

(٣٨) الشامي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ .

واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم^(۳۱) .

يا مشر الملائكة اني خلقت اربع نتيات من نساء العالمين وفضلهن على
الحرور العين كفضل الشمس على القمر وعلى سائر الكواكب: اسية بنت مزاحم
ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد^(۳۲) .

... ام هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته وطهر جوفها لروحه
وسردها على امانه^(۳۳) .

(عن ابي هريرة) : سمعت رسول الله صلعم يقول : نساء قريش خير
نساء ركبن الابل احناه على طفل وارعاها على زوج في ذات يده . قال : يقول
ابو هريرة على اثر ذلك : ولم تتركب مريم بنت عمران بغيراً قط^(۳۴) .

(عن علي) : سمعت رسول الله صلعم يقول : خير نساها مريم بنت عمران
وخير نساها خديجة بنت خويلد . قال ابو كريب : واشار وكيع السماء
والارض^(۳۵) .

(عن ابن معاذ) : سمعت رسول الله صلعم يقول : كل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران واسية امرأة فرعون وان
فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام^(۳۶) .

وقال صلعم : اربع نساء العالمين : مريم وانشية وخديجة
رفاطمة^(۳۷) .

٣٩ مسلم ' الصحيح ' ٢٢٤:٢ ؛ ابن حنبل ' المسند ' ٢٧٤:٢٢٣٣ ؛ ٢٨٨ ؛ ٢٩٢ ؛
٣١٩ ؛ ٣٦٨ ؛ ٥٢٣ ؛ البخاري ' الجامع الصحيح (طبعة كرهل) ٣ : ٣٦٦ .

٤٠ الله هو المتكلم ' الكسافي ' قصص الانبياء ١٩٩٠ .

٤١ الطبري ' تاريخ الرسل والملوك ' ٧٩٨:٣:١ .

٤٢ مسلم ' الصحيح ' ٣٧٠:٢ ؛ البخاري ' الجامع الصحيح ' (طبعة كرهل)
٣٦٦ ؛ ٣

٤٣ مسلم ' الصحيح ' ٢٤٢:٢ .

٤٤ مسلم ' الصحيح ' ٢٤٢:٢ .

٤٥ ابن حنبل ' المسند ' ١٣٥:٦٤:٣ ؛ ابو داود ' سنن ' عدد ٥٠٤ ؛ البخاري ' الجامع الصحيح ' ٥١٥:٢ ؛ الترمذي ' نوادر الاصول ' ٣٠٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ' حلية الاولياء ' ٤٢:٢ ؛ « تلك (مريم) سيدة نساء عالمها وانت (فاطمة) سيدة نساء عالمك » .

اما اكرم الخلق على الله عز وجل آدم خلقه الله بيده وعلمه الاسماء كلها .
واما اكرم امائه عليه فهي مريم التي احصنت فرجها فنفخ فيه من روحه^(٦٦) .

خصائص عيسى

منها تأييده^(٦٧) اياه بالروح القدس . قال عز من قائل : وايدناه بروح القدس ،
ونظيرها في سورة المائدة اذ قال الله : يا عيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
اذ ايدتك بروح القدس .

واختلفوا فيه فقال الربيع بن انس : هو الروح الذي نفخ فيه الروح اضافة
سبحانه الى نفسه تكريماً وتخصيماً ، نحو بيت الله وناقة الله ، والقدس هو الله
تعالى يدل عليه قوله تعالى : وروح منه — فنفخنا فيه من روحنا .

وقال آخرون : اراد بالقدس الطهارة اي الروح الطاهر لانه لم تتضمنه
اصلاب الفحول ولم تشمل عليه ارحام الطوامث ، اذ كان امراً من الله تعالى .
قال السدي وكعب : روح القدس جهريل وتأييد عيسى بجهريل عليهما السلام
هو انه كان قرينه ورفيقه بعينه ويسير معه حيثما سار الى ان صعد به الى السماء .
وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير : هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيى الموتي
ويري الناس تلك العجائب .

ومنها تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله
تعالى : واذ علمك الكتاب ، اي الخط . قيل : الخط عشرة اجزاء . قسمة
منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل^(٦٨) .

الله خاصة طهر جسمه عن الاقذار الطبيعية فانه روح متجسد في بدن مثالي
روحاني ولذلك بقي مدة مديدة زائدة على الف في زماننا هذا ومن الهجرة
سبعائة وثلاثون بثلاثمائة وستة وثلاثين . فان من ميلاد النبي الى زماننا هذا
سبعائة واحد وثمانين سنة . وذلك اما من صفا . جوهر طيبته ولطافتها وصفا .

(٦٦) الدميري : حياة الخيوان الكبرى ، ٣ : ٢٧٤ .

(٦٧) اي تأييد الله لعيسى .

(٦٨) الثعلبي ، غرائب المجانس ، ٣٩١ - ٣٩٢ .

طينة ٥٠ وطهارتها . وتزده روحه وقدسه من التأثير بالهيات الطبيعية والصفات البدنية لتأييده بروح القدس الذي هو على صورته ولهذا ما قتل وما صاب كما اخبر الله عنه لتجرده عن الملابس الهولانية وصيغته مثلاً له بتكوين الطير من الطين وتكوين الاعراض من الحياة والصحة في الموتى والمرضى في نشأته الارلى وبكونه خليفة الله وخاتم الولاية في نشأته الثانية اي مثله في الصفات ، او صيغته مثل الخلق في الصورة بتكوينه تعالى اياه من الطبيعة الجمانية^(٤٩) .

وقد قال تعالى : لقد فضلنا بعض النبيين على بعض . وقال : منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات . فكان عيسى عليه السلام من المفضلين . ولأدلاله سلم على نفسه فقال : والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابثت حياً ، وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس . واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهية والحيا . فلم ينطق حتى اتى عليه خالقه فقال : وسلام عليه^(٥٠) .

ذكر من تكلم في المهد وهم اربعة : صاحب جريح ببراءته من الزنا وشاهد يوسف ببراءته من زليخا^(٥١) ابن الماشطه التي لبنت فرعون حذرهما من الكفر ، وعيسى بن مريم ببراءة امه عليهما السلام^(٥٢) .

قال ابن عطا : احسن النبات ما كان ثمرته مثل عيسى روح الله^(٥٣) .

المقول عن عيسى عليه السلام انه قال : ان الله تبارك وتعالى اشاق ان يرى ذاته المتدسة فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته

(٤٩) الفاشاني ، شرح علي فيصوص الحكم ، ٢٥٨-٢٥٩ .

(٥٠) القرطبي ، احياء علوم الدين ، ١٩٣ : ٤ .

(٥١) زليخا اسم مزعوم لاسراة فرعون مصر ، فوطيفار ، قابل ما يقوله الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، ٣٩ : ٧-٢٠ بما يقول القرآن ، - ودة يوسف : ١٢ عن يوسف بن يعقوب .

(٥٢) الدميري ، حياة الخيران الكبرى ، ١ : ٥٥ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح (طبعة كرهل) ، ٣ : ٣٦٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ١ : ٣٨٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ١٠١ ؛ المندي ، منتخب كثر المال ، ٦ : ١٦٥ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ٣ : ٣٠٧-٣٦٨ ؛ ويقول الحلبي ، انسان السيرة ، ١ : ١٠٠-١٠١ ، ان عيسى تكلم ثلاث مرات في المهد .

(٥٣) البجلي في تفسيره ، ١ : ٨٠ ، ذكره ماسيدون ، مجموعة نصوص ، ٥٦

المقدسة فيها واني انا ذلك النور وآدم المرأة^(٥٤) .

ان الله فضله على رجال العالمين وجعله وامه آية للمعتبرين^(٥٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي الاضخم ، ملك الحبشة سلام انت . فاني احمد اليك الله الملك القدوس ، السلام ، السلام ، المؤمن المهيمن ، واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقته الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له^(٥٦) .

ولما قال اهل الطبيعة ان ماء المرأة لا يتكون منه شيء . وان الجنين الكائن في الرحم انا هو من ماء الرجل ، جعلنا تكوين جسم عيسى تكويناً آخر وان كان تدييره في الرحم تديير سائر اجسام البنين فان كان من ماء المرأة - وتمثل لها الروح بشراً سوياً - او كان عن نفخ مفاير في النشء غيره من اجسام النوع ، فكان جسماً رابعاً مفايراً للاجسام الثلاثة في سبب نشئه . ولذلك قال الله تعالى : ان مثل عيسى عند الله ، اي صفة نشئه ، كمثل صفة آدم في نشئه ، خلقه من تراب ، والضير يعود الى آدم ووقع الشبه في خلقه من غير اب ، الا ان آدم خلقه من تراب وعيسى خلقه من نفخه فقال له ما قال .

ثم ان عيسى على ما قيل لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد لانه اسرع اليه التكوين لما اراد الله ان يجعله آية ويرد به على الطبيعيين حيث حكموا على الطبيعة بما اعطتهم من العادة لا بما تقتضيه بما اودع الله فيها من الاسرار والتكوينات العجيبة . ولقد اذصف بعض حذاق علماء الطبيعة فقال لا تعلم منها الا ما اعطتنا خاصة وفيها ما لا نعلم^(٥٧) .

(٥٤) ذكره ماسينيون ، مجموعة نصوص ، ٢٢٨-٢٢٩ .

(٥٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٧٩٨:٣:١ .

(٥٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٥٧٩:٣:١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٩:٣:٣ .

ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٦١:٣ الخ . . .

(٥٧) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١٣٨:١-١٣٩ .

اما الانسان فقد اختلف خلقه على اربعة انواع من الخلق : فخلق آدم لا يشبه خلق حواء ، وخلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم ، وخلق عيسى عليه السلام لا يشبه خلق من ذكر... فأدم خلق من طين ، وحواء من ضلع آدم ، وعيسى من نفع روح ، وبنو آدم من ما مهين^(٨) .

فأول موجود ظهر من الاجسام الانسانية كان آدم عليه السلام وهو الاب الاول من هذا الجنس ... وهو اول من ظهر بحكم الله من هذا الجنس ، ولكن كما قررناه . ثم فصل عنه اباً ثانياً سماه لنا إماماً ، فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليها لكونه اصلاً ، فغتم التراب من دورة الملك بمثل ما بدأ به لئنه ان الفضل بيد الله وان ذلك الامر ما اقتضاه الاب الاول لذاته فأوجد عيسى ابن مريم، فتزلت مريم منزلة آدم، وتزلت عيسى منزلة حواء ؛ فكما وجد انشى من ذكر وجد ذكر من انشى، فغتم بمثل ما بدأ به في ايجاد ابن من غير اب كما كانت حواء من غير ام، فكان عيسى وحواء اخوين، وكان آدم ومريم ابوين لهما .

ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، فأوقع التشبيه في عدم الابوة الذكورية من اجل انه نصب ذلك دليلاً لعيسى في براءة امه ؛ ولم يوقع التشبيه بجوا . وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلاً موضوعاً للولادة وليس الرجل بحمل لذلك . والمقصود من الادلة ارتقاع الشكوك ، وفي حواء من آدم لا يقع الالتباس لكون آدم ليس محلاً لما صدر عنه من الولادة وهذا لا يكون دليلاً الا عند من ثبت عنده وجود آدم وتكوينه والتكوين منه . وكذا لا يعهد ابن من غير اب كذلك لا يعهد من غير ام ، فالمثل من طريق المعنى ان عيسى كحواء ، ولكن لما كان الرجل يتطرق في مثل ذلك من المنكر لكون الانثى محلاً لما صدر عنها، ولذلك وقعت التهمة ، كان التشبيه بأدم لحصول براءة مريم مما يمكن في المادة وقوعه ، فظهر عيسى ابن مريم من غير اب كظهور حواء من آدم من غير ام وهو الآب الثاني^(٩) .

وخص (الله) عيسى عليه السلام بكونه روحاً واطاف النفوس اليه فيما خلقه

٥٨ ابن العربي، التنويرات المكية، ١: ١٤٥-١٤٦ .

٥٩ ابن العربي، التنويرات المكية، ١: ١٥١ .

من الطين ولم يصف نفخاً في اعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى^(٦٠) .

وقول عيسى عليه السلام : قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم في الساء تكن قلوبكم في الساء^(٦١) فمن اكتنز ماله فقد دفن قلبه في ارض طبيعته فلا يلتذ بمشاهدة ابيه الذي هو الروح الالهي ابداً ، ومثل هذا لا يكون ابن امه وان كان له اب ، ولكن لا يُنسب اليه كعيسى بن مريم عليهما السلام يُنسب الي امه وما وهبه لها الا جبريل عليه السلام لما تمثل لها بشراً سوياً واعلمها ؛ ومع هذا فما نُسب الا الى البقعة الجنسية مع كونه يجيب الموتى من حيث ما هو من هنات الروح الامين^(٦٢) .

فجمع بين الصورة والروح فكان نشأة تلمة ظاهره بشر وباطنه ملك ، فهو روح الله وملكته^(٦٣) .

فتمثل لها جبريل او الملك بشراً سوياً وقال لها انا انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً فوهبها عيسى عليه السلام . فكان انفعال عيسى عن الملك المبث في صورة الرجل ، ولذلك خرج على صورة ابيه ذكراً بشراً روحاً ، فجمع بين الصورتين اللتين كان عليهما ابوه الذي هو الملك ، فانه روح من حيث عينه ، بشر من حيث تمثله في صورة البشر^(٦٤) .

واما خاتمة عيسى عليه السلام فله ختام دررة الملك ، فهو آخر رسول ظهر بصورة آدم في نشته ، فانه لم يكن عن اب بشري ولم يشبه الابناء اعني ذرية آدم في النش . فانه لم يلبث في البطن اللبث الامتاد ، فانه لم ينتقل في اطوار

(٦٠) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٥٨ : ٢ .

(٦١) وعن الانجيل : « لا تكتروا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون . لكن اكتروا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون لانه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك . » ٥ ، ٦ : ٢٠-٢١ .

(٦٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣٥٧ : ٣ .

(٦٣) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣٤ : ٢ .

(٦٤) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٢٠٤ : ٣ .

النشأة الطبيعية بمرور الايام المتتالية بل كان انتقاله يشبه البعث يعني احياء الموتي يوم القيامة في الزمان القليل على صورة من جاؤوا عليها في الزمان الكثير، فهو داخل تحت عموم^(٦٥) .

لم يذكر (القرآن) في غير نشأة الانسان قط تسوية ولا تعديلاً .. لان التسوية والتعديل لا يكونان معاً الا للانسان لانه سواه على صورة العالم وعدله عليه ولم يكن ذلك لغيره من المخلوقين من العناصر . ثم قال له بعد التسوية والتعديل : كُنْ . وهو قوله : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كُنْ ، فشبّه الكامل وهو عيسى عليه السلام بالكامل وهو آدم عليه السلام ، خليفة بخليفة .. وغير الخلفاء انما سواه ونفخ فيه من روحه وما قال فيه انه قال له : كُنْ ، او في الآية الجامعة في قوله : انا قولنا لشيء . اذ اردناه ان نقول له كُنْ فيكون^(٦٦) .
انه خليفة وانسان كامل^(٦٧) .

واما روح عيسى عليه السلام فهو منفوخ بالجمع والكثرة ففيه قوى جميع الاسماء والارواح فانه^(٦٨) قال : فنحننا بنون الجمع ، فان جبريل عليه السلام ربه لها بشراً سوياً فتجلى في صورة انسان كامل^(٦٩) .

ولم يحل بينه وبين ادراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الاركان في خلقه فلم يكن عن اب عنصرى ولكن كان روح الله وكلسته القاها الى مريم فلم يكن ثم ما بينه عن صدره فقال مخبراً عما شاهده من الحال فحكم في مهده على مرأى من قومه الذين افتروا في حقه على امه مريم فبرأها الله بنطقه ومجنين جذع النخلة اليه ، اذ اكثر الشرع في الحكم بشاهدين عدلين . ولا اعدل من هذين .

(٦٥) ابن العربي ، التوححات المكية ، ٣ : ٥٦٨ .

(٦٦) ابن العربي ، التوححات المكية ، ٣ : ٣٣١ .

(٦٧) ابن العربي ، التوححات المكية ، ٣ : ٣٣١ .

(٦٨) اي الله تعالى .

(٦٩) ابن العربي ، التوححات المكية ، ٦ : ٢١٨ .

فقال اني عبد الله فحكم على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان ، لانه لم يكن ثم ، وانا كان حق تجلي في صورة روح جبرائيلي لما في القضية من الجبر الذي حكم في الطبيعة بهذا التكوين الخاص الغير المتباد
نسبه النصرية في خلقه فكان اقرب الى ربه . فكان احدث عهد بعبوديته لربه^(٢٠) .

فاتاه الحكم بما ذكره وهو صبي رضيع في المهدي فكان اتم في الرصلة بربه من يحيى ابن خاله . فان عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادعى فيه انه اله ، ويحيى سلم عليه ربه تعالى ولم ينص على انه عرف بذلك السلام عليه او لم يعرف^(٢١) . واعلم ان الناس يستغربون الحكمة في الصبي الصغير دون الكبير لانهم ما عهدوا الا الحكمة الظاهرة عن التفكير والروية وليس الصبي في العادة يجعل لذلك فيقولون انه ينطق بها فتظهر عناية الله بهذا المحل الظاهر فراد يحيى وعيسى عليها السلام بانهما على علم بما نطقا به علم ذوق ، لان مثل هذا في هذا الزمان والسن لا يصح ان يكون الا ذوقاً . فان الله اتاه الحكم صياً وهو حكم النبوة التي لا تكون الا ذوقاً^(٢٢) .

ادعت طائفة من اليهود والنصارى انهم ابناء الله وارادوا التبني لانهم عالمون بابائهم وقالوا في المسيح انه ابن الله اذ لم يعرفوا له اياً ولا تكون عن اب لجهلهم بما قال الله من تمثل الملك لمريم بشراً سوياً وجعله الله روحاً ، اذ كان جبريل روحاً فما تكون عيسى الا عن اثنين . فجبريل وهب لها عيسى في النفخ ، فلم يشعروا بذلك ، كما ينفع الروح في الصورة عند تسويتها ، فما عرفوا روح عيسى ولا صورته وان صورة عيسى مثل تجسد الروح لانه عن تمثل . فلو تفتنت خلقت عيسى لآيت روحاً عظيماً يقصر عنه انباء القتلا^(٢٣) .

(٢٠) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١٢٧:٤ .

(٢١) يذكر القرآن قول عيسى : « والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً » اما عن يحيى فانضير هو الثائب : « والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً » .

(٢٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١٢٧:٤ .

(٢٣) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤٤٩:٢ .

عن ما. مریم ام عن نفع جبرئیل^{۷۶} فی صورة البشر الموجود من طین
تکون الروح فی ذات مطهرة من الطیمة تدعوها بسجین^{۷۵}
لاجل ذلك قد طالت اقامته فیها فتراد علی ان بتعین^{۷۶}
روح من الله لا من غیره^{۷۷} فلذا احیا الموات وانشا الطیر من طین
حتى یصح له من ربه نسب حتى یؤثر فی العالی فی الدون^{۷۸}
الله طهره جاً وترمه روحاً وحیداً مثلاً بتکوین^{۷۹}

واعم ان من خصائص الارواح انها لا تطأ شیئاً الا حی ذلك الشيء وسرت
الحیة فیہ . ولهذا قبض السامري قبضة من اثر الرسول الذي هو جبریل وهو
الروح ، وكان السامري عالماً بهذا الامر ، فلما عرف انه جبرئیل عرف ان الحیة
قد سرت فیها وطی علیه فقبض قبضة من اثر الرسول علیه السلام بالضاد او بالصاد
ای بل یده او باطراف اصابه فنبذها فی العجل فغار العجل ، اذ صوت البقر
انما هو خوار ، ولو اقامه صورة اخرى لنسب الیه الصوت الذي كان لتلك
الصورة كالرغاء للابل والثواج للكباش والعیاء للشیاء والصوت للانسان او
النطق او الكلام . فذلك القند من الحیة الساریة فی الاشیاء یسمى لاهوتاً
والناسوت هو المحل القائم به ذلك الروح فسمى الناسوت روحاً بما قام هو به .
فلما تمثل الروح الامین الذي هو جبرئیل لمریم علیها السلام بشراً سوباً
تحیلت مریم انه بشر یرید موافقتها فاستعادت بالله استعاذة جمعیة منها لیخلصها

(۷۶) جبرائیل الملاك .

(۷۵) الذات المطهرة « هی مریم » من الطیمة ای من ادناسها وارجاسها ومقتضياتها من اللذات الشهوانیة . ندعوها ای الطیمة التي تدعو مریم ای شأن هذه الطیمة ان تدعو مریم بسجین ای یحجم « (شرح الفاشانی) .

(۷۶) « فیها ای الهیات . علی الف : مبین من علم التواریح » (الفاشانی) .

(۷۷) « ای خلقه الله بذاته لا بواسطة روح من الارواح » (الفاشانی) .

(۷۸) « العالی » ای احیاء الموقن من الانسان ، الدون خالق الطیر المعروف من الطین «

(الفاشانی) .

(۷۹) « ای مماثل له مثال بتکوین ای بسبب تکوین الطیر » (الفاشانی) .

الله منه لما تعلم ان ذلك مما لا يجوز، فحصل لها حضور تام مع الله وهو الروح المعنوي . فلو نفخ فيها في ذلك الوقت على هذه الحالة لخرج عيسى لا يطيقه احد لشكامة خلقه بحال امه فلما قال لها : انما انا رسول ربك جنب لاهب لك غلاماً ذكياً ، انبسطت عن ذلك القبض وانشرح صدرها فنفخ فيها في ذلك الحين عيسى عليه السلام . فكان جبرئيل ناقلاً كلمة الله لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لامته وهو قوله تعالى : وكلمته القاها الى مريم وروح منه . فسرت الشهوة في جسم مريم فخلق جسم عيسى عليه السلام من ماء . محقق من مريم ومن ماء متوهم من جبرئيل سرى في رطوبة ذلك النفخ لان النفخ من الجسم الحيواني رطب لما فيه من ركن الماء ، فيكون جسم عيسى عليه السلام من ماء متوهم وماء محقق، وخرج على صورة البشر من اجل امه ومن اجل تمثل جبرائيل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الانساني الاعلى الحكم المتعاد . فخرج عيسى عليه السلام يحيي الموتى لانه روح الهي ، وكان الأحياء لله والنفخ ليدنى عليه السلام كما كان لجبرئيل والكلمة لله . فكان احياء عيسى عليه السلام للاموات احياء . محققاً من حيث ما ظهر عن نفخته كما ظهر هو عن امه فكان احياءه ايضاً متوهماً انه منه وانما كان لله ، فجمع بحقيقته التي نطق عليها كما قلناه انه لمخلوق من ماء متوهم ومن ماء محقق لينسب اليه الاحياء بطريق التحقيق من وجهه وبطريق التوهم من وجهه ، فقبل فيه من طريق التحقيق : وتحيي الموتى ، وقيل فيه من طريق التوهم : فتنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله . . .

وخرج عيسى من من التواضع الى ان شرع لامته ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون^(٨٠) وان اخدمهم اذا اطعم في خده وضع الحجد الآخر لمن يلبسه^(٨١) ولا يرتفع عليه ولا يطلب القصاص منه هذا له من جهة امه اذ المرأة لها السفل حكماً وحاً . وما كان فيه من قوة الاحياء والابراء . فن جهة نفخ جبرائيل عليه السلام في صورة البشر فكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بصورة البشر، ولو لم يأت جبرئيل عليه السلام في صورة البشر واتى في صورة غيرها من صور

(٨٠) سورة التوبة ، ٩ : ٢٨ .

(٨١) راجع الانجيل ، متى ، ٥ : ٢٩ .

الأكوان العنصرية من حيوان او نبات او جماد لكان عيسى عليه السلام لا يجيى الموقى الا حين يتلبس بتلك الصورة ويظهر فيها - ولو اتى جبرئيل عليه السلام بصورته النورية الخارجية عن العناصر والادكان اذ لا يخرج عن طبيعته لكان عيسى عليه السلام لا يجيى الموقى الا حين يظهر في تلك الصورة الطبيعية النورية لا العنصرية مع الصورة البشرية من جهة امه فكان يقال فيه عند احيائه الموقى: هو لا هو، وتقع الحيرة في النظر اليه كما وقعت في العاقل عند النظر الفكري اذا رأى شخصاً سوياً من البشر يجيى الموقى وهو من الخصائص الالهية احياء. النطق لا احياء الحيوان، بقي الناظر حائراً اذ يرى الصورة بشراً بالآثر الالهي، فأدى بعضهم فيه الى القول بالحلول وانه هو الله بما احيى به الموقى، ولذلك نسبوا الى الكفر وهو السر لانهم ستروا الله الذي احيى الموقى بصورة بشرية عيسى فقال تعالى: لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم، فجعلوا بين الحظا والكفر في تمام الكلام كله لا بقولهم هو الله ولا بقولهم ابن مريم، فعدلوا بالتضمين من الله من حيث انه احيى الموقى الى الصورة الناسوتية البشرية بقولهم ابن مريم وهو ابن مريم بلا شك فتخيل السامع انهم نسبوا الالهية وجعلوها عين الصورة وما فعلوا بل جعلوا الهوة الالهية ابتداء في صورة بشرية وهي ابن مريم ففصلوا بين الصورة والحكم لا انهم جعلوا الصورة عين الحكم ...

فوقع الخلاف بين اهل الملل في عيسى عليه السلام ما هو - فن ناظر فيه من حيث صورته الانسانية البشرية فيقول هو ابن مريم، ومن ناظر فيه من حيث الصورة المثلثة البشرية فينسب لجبرئيل، ومن ناظر فيه من حيث ما ظهر عنه من احياء الموقى فينسب الى الله بالروحية فيقول روح الله، اي به ظهرت الحياة فيمن نفع فيه - فتارة يكون الجح فيه متوهماً اسم مفعول، وتارة يكون الملك فيه متوهماً، وتارة تكون البشرية الانسانية فيه متوهمة، فيكون عند كل ناظر بحسب ما يغلب عليه فهو كلمة الله وهو روح الله وهو عبد الله وليس ذلك في الصورة الحسية لغيره، بل كل شخص منسوب الى ابيه الصوري لا الى النافع روحه في الصورة البشرية - فان الله اذا سوى الجسم الانساني كما قال: فاذا سوىته، نفع فيه هو تعالى من روحه فنسب الروح في كونه وعينه

اليه تعالى وعيسى ليس كذلك ، فانه ادرجت تسمية جسده وصورته البشرية بالتفخ الروحي ، وغيره ، كما ذكرنا ، لم يكن مثله . فالوجودات كلها كلمات الله التي لا تنفذ ، فانها عن كمن وكن كلمة الله ، فهل تنسب الكلمة اليه بحسب ما هو عليه فلا يُعلم ماهيتها ، او ينزل هو تعالى الى صورة من يقول كمن فيكون قول كمن حقيقة لتلك الصورة التي تزل اليها وتظهر فيها . فبعض المارقين يذهب الى الطرف الواحد ، وبعضهم الى الطرف الآخر ، وبعضهم يحار في الامر ولا يدري ، وهذه مسألة لا يمكن ان تعرف الا ذوقاً كأبي يزيد حين نفخ في النحلة التي قتلها فحييت فعلم عند ذلك بين ينفخ فنفخ وكان عيسوي المشد .

واما الاحياء المعنوي بالعلم فتلك الحياة الالهية الذاتية الدائمة العلية النورية التي قال الله فيها : او من كان ميتاً فأحييناه وجعلناه له نوراً يمي به في الناس . فكل من احى نفساً بميتة بجملة عليية في مسألة خاصة بمتعلقة بالعلم بالله فقد احياه بها وكانت له نوراً يمي به في الناس اي بين اشكاله في الصورة^(٨٢) .

فلراه	ولولانا	لا كان الذي	كانا
فإننا	اعبد حقاً	وإن الله	مولانا
وإننا	عينه فاعلم	اذا ما قلت	انساناً
فلا تحجب	بانسان	فقد اعطاك	برهانا
فكن حقاً	وكن خلقاً	تكن بالله	رحمانا
وعدت	خلقه منه	تكن روحاً	وريحانا
فاعطيناه	ما يبدو	به فينا	واعطانا
فصار الامر	مقسوماً	باياه	وايانا
فاحياه	الذي يدري	بقلبي	حين احيانا
فكننا	فيه اذكوانا	واعياناً	وازمانا
وليس	بدانم	فيما	ولكن ذلك احيانا ^(٨٣)

(٨٢) « اي بصقات الله واسمائه وآياته وكنائه » (القاشاني) .

(٨٣) ابن العربي ، فصوص الحكم ، في شرح القاشاني ، ٢٥٦-٢٧٤ .

انما خص الحكمة النبوية بالكلمة الديرية وان كانت جميع هذه الحكم نبوته لان نبوته فطرية غالبية على حاله وقد انبأ عن الله في بطن امه بقوله : لا تحزني وقد جعل ربك تحتك سرياً ، وفي المهد بقوله : اتاني الكتاب وجاهلي نبياً ، الى وقت بعثه وهو الاربعون سنة لقوله^(٨١) عليه السلام : ما بُعث نبي الا بعد الاربعين ، وقيل انها ليست مهيوزة عن النبأ بل ناقصة من نبأ ينبو نبوءاً ، يعني ارتفع لارتفاع مقامه من ابنا البشرية ، وبقوله تعالى : بل رفعه الله اليه .

والحتم الولاية عليه من خصائص الروح الذي هو نفس روحاني من صفاته الذاتية الحياة ، انه ما يمر على شيء من القوابل ولم يباشره بصورته المثالية الا حيي ذلك الشيء بقوة قبوله واظهر فيه خاصية الحياة واثر من آثارها بحسب تلك القوة ، ولكن اذا حيي ذلك الشيء الذي مر عليه الروح وباشره وسرت الحياة فيه يكون تصرفه اي تصرف الروح وتأثيره بحسب مزاجه اي مزاج ذلك الشيء . واستمداده لا بحسب الروح نفسه . فان الروح امر قلبي ليس له حسن معين ولا جثة مخصوصة فاذا كان ذلك الشيء ذامزاج معتدل قابل الحياة ظهر فيه الحسن والحركة وجميع خواص الحياة بحسب المزاج المخصوص وان لم يكن ظهر فيه اثر من الحياة بحسب صورته^(٨٥) .

(٨٤) اي محمد .

(٨٥) الجامي ، كتاب نقد النصوص ، ٩٥ .